ولكني أتذكرها

سفيان مرزوقي- تونس

نسمات الصبح ترقص على أطياف الشمس السادرة من السماء الضاحكة. خدر ناعم يدغدغ أشجار الرصيف الرابضة في عنفوانها و تهدلها و شيء من السكينة يملأ الوجوه القادمة من هنا و هناك و أسراب طير حالمة تطارد نفسها في الفضاء الرحيب

تقدم "مبروك "بخطى مسرعة بالكاد كان يلامس الأرض. خفة مستفزة و بشر طافح على وجهه يجهدك و أنت تتساءل عن سر هذا الألق لشيخ بلغ من العمر أرذله ... كانت الساعة الثامنة و النصف صباحا عندما كان "مبروك" يجاوز المارة و يتخطى الأرصفة برشاقة الشباب ...شيخ له من العمر اكثر من سبعين سنة و مع ذلك مازال يحتفظ بشبابه الغض ...كانت سرعته في المشي بسبب اقتراب موعد الطبيب. لا يريد الأنتظار و يمقت أن يخلف موعده الذي ضبطته له السكرتيرة ركض و هو يمشي تنعشه النسمات حتى أدرك العيادة و لم يبق على الموعد إلا دقائق خمس ...

و كعادته كان أمام مكتبها في موعده المحدد و هو يبتسم ابتسامة تلين لها القلوب المتحجرة ... حيته بلباقة ثم أخبرها عن الموعد و أعطاها اسمه ففحصت أجنتدتها ثم استأذنت منه لتعلم الطبيب آخذة معها جذاذة المريض ... لم تغب كثيرا

لتعود ثم طلبت منه الدخول.

لم يظهر عليه الإستعجال بادئ الأمر و لكن حينما دخل لغرفة الطبيب تغير و أصبح ينظر إلى الساعة كثيرا حتى أن الطبيب لاحظ ذلك و سأله .همهم في إجابته لكنه عالج الموقف و أخبره بأنه على موعد هام و ليس من الممكن أن يخلفه ... تجاوز محدثه الأمر و انبرى يفحصه و يشخص مرضه الذي أرقه منذ مدة

كان الشيخ "مبروك "يعاني من ألم في كليته فاجأه في ليلة من الليالي لم يعره اهتماما اول ما شعر به و لكنه ازداد بعد ذلك حتى نصحوه بعيادة هذا الطبيب واصل الطبيب عمله و لكن العم مبروك أرقه بالنظر المتواصل إلى ساعته ... تغافل عنه اول الامر لكن تكرار العملية أدخلت في نفسه شكوكا جاهد عقله و هو يطردها.لم ير في حياته المهنية أمرا كهذا ... و بابتسامة تلفها سخرية سأله عن سبب هذه العجلة التي حيرته و كان نفس الرد في انتظاره ...

أكمل الطبيب الفحص و دعاه للجلوس في المكتب لمده ببعض التحاليل و الأدوية ... انتفض العم مبروك كطفل صغير قفز عندما سمع أترابه ينادونه للعب و جلس قبالته فبادره الطبيب و هو يخط بقلمه فقال:

_" حالتك ليست بالخطيرة و لكن يجب اجراء بعض التحاليل للوقوف على نسبة العجز في الكلية و هذه بعض الادوية عليك بتناولها ريثما تعود لي مرة أخرى و قد أجريت التحاليل "

تنهد العم مبروك و حمد الله ثم نظر مجددا إلى ساعته و هو يهز قدميه و كأنه جالس على الجمر و هنا تدخل الطبيب مرة أخرى و قال له :

_" لن أمدك بالتحاليل ووصفة الدواء إلاإذا أخبرتني عن سر هذه العجلة و مراقبتك كامل الوقت للساعة أعذرني يا أبي فأمرك غريب كل المرضى تشتكي من قلة الوقت الذي يقضونه عند الطبيب اما أنت فعكس ذلك تماما "

و بصوت و كأنه هدير الماء أجابه :

_الحقيقة يا دكتور لي موعد مع زوجتي ولابد ان اكون معها بالوقت المحدد"

_أهي خرجت لقضاء شيء ما و اتفقتما على الإلتقاء في الساعة المحددة ؟

_لا يا دكتور هي لا تخرج و لا تذهب إلى أي مكان

_اه هي في المنزل

_نعم هي في المنزل

احتار الطبيب و جعلته الحيرة يتخبط في بحر من الغموض و تشبث بمعرفة سر هذه الزوجة التي تقبع في المنزل و زوجها يسارع للقاءها و ألح عليه فك هذا اللغز

وبابتسامته المعهودة بدأ الشيخ مبروك يسرد له ما حيره فقال :

_ زوجتي مصابة بالزهايمر و لا تتذكر شيئا و قد جئت إليك مسرعا لأعود لها لأتناول معها الغداء فمواعيد أكلها مضبوطة لأنها تتناول الدواء

_اذن هي تستطيع أن تؤمن لنفسها أكلها و دواءها فلماذا كل هذه العجلة ؟

_نعم و لكن أحب أن أكون جانبها في كل ما يجمعنا

تبسم الطبيب في نوع من الإستهزاء

_و هل مازالت تتذكرك ؟

_ لا تتذكر شيئا و لا تتذكرني بل باتت لا تعرفني

_اذن لما كل هذه العجلة و هي أصلا لا تتذكرك؟

و بابتسامة الهادئ الرصين رد عليه:

_و لكني أتذكرها ....

نزلت هذه الكلمة على مسامع الطبيب كمطرقة شقت رأسه إلى نصفين و أحس نفسه أنه في حرج تمنى لو ان الأرض ابتلعته. أعاد إلى نفسه الهدوء و سارع بمد الأوراق إلى الشيخ مبروك حتى يستطيع الأفلات من هذا الموقف .سلم عليه الشيخ و حياه ثم انصرف يركض ركضا لا يلوي على شيء....